

اقتراحات لتوزيع التناول في الظروف الخاصة

Communion in Extraordinary Circumstances

—

مايو ٢٠٢٠

القمص أبرام سليمان

frsleman@CopticChurch.net

3	مقدمة
6	الثبات على العقيدة مع تطور الطقس
8	تناول الجسد والدم معا
11	تناول الأسرار المقدسة في اليد
14	قدسية الأسرار
17	ختاما

مقدمة

في ظل الظروف الاستثنائية يحدث تغيير في الحياة اليومية بالمجتمع لتواكب الظروف المتداعية، وبعد انتهاء الأزمة يعود كل شيء إلى ما عليه. وعلى هذا المنوال يمكن للكنيسة أن تعمل بعض التغييرات لبعض الطقوس كما حدث في التاريخ الكنسي، وذلك بما لا يتعارض مع الإيمان بالله وجوهر الأسرار المقدسة وفعاليتها.

بدراسة كثير من الاقتراحات - بشأن هذا الموضوع - في ضوء فكر الكتاب المقدس وكتابات الآباء الأولين، والتقليد المقدس، توجد بعض الطرق الاستثنائية alternative methods اللائقة لتوزيع التناول في الظروف الاستثنائية.

ويمكن اتباع أي من هذه الطرق في حالة إذا رأى قداسة البابا أو نيافة الحبر الجليل مطران أو أسقف الإبيارشية أن أي من هذه الطرق مناسبة لظروف الكنيسة المحلية.

أود أن أوضح بعض الأمور المرتبطة بهذه الطرق المقترحة لتوزيع التناول في ضوء الكتاب المقدس، وأقوال الآباء والتقليد المقدس في الكنيسة الأرثوذكسية، وإجابة لبعض الأسئلة بخصوصها، لعلها تساعد في اتخاذ القرار المناسب.

تطور الطقوس:

في البداية، وقبل أن نبحث الطرق الاستثنائية لتوزيع التناول، يجب أن نضع في الاعتبار أن الطقوس عموماً قابلة للتطور بحسب الظروف والعصر، وهذا ما حدث لطقوس كثيرة على مر تاريخ الكنيسة.

في عصرنا الحاضر حدث تطور في طريقة تحضير الميرون المقدس للاستفادة بالتكنولوجيا الحديثة وتوفير الوقت، في حبرية قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني، أدام الرب حياته.

هذه الأيام طلبت الكنائس أن يكون التعبير عن "القبلة المقدسة" مجرد انحناء الرأس للحفاظ على عدم تلامس الأيدي، مع العلم أن طريقة القبلة المقدسة كان قد سبق تطورها من عصور كثيرة ليكون بتلامس اليدين بدلاً من قبلة الفم.

بالنسبة للأفخارستيا، لا أحد ينكر أن الكنيسة الأولى في أيام الآباء الرسل كانت تُقدّم الجسد والدم منفصلين كما فعل السيد المسيح، وهذا واضح جدًا حسب ما ورد في الأناجيل المقدسة وفي رسالة كورنثوس الأولى (1كورنثوس 11:23-27).

في بداية التاريخ الكنسي، ظلت الكنيسة تتبع طقس الليتورجيا الواحدة في كنيسة واحدة باستخدام قربانة واحدة وكأس واحدة، وأسقف واحد يرأس يخدم للسر، حينما سمحت الظروف بإتمام السر بهذه الطريقة.

ولكن بعد ذلك، كثرت الكنائس والمذابح وتعددت الليتورجيات، ولم يعد الأسقف وحده يمثل المسيح الذي يخدم السر، بل صار هناك كهنة كثيرون يقومون بهذه الخدمة كما يقومون بطقوس أخرى. وفيما بعد اشترك الشماس مع الكهنة في بعض الطقوس مثل مناولة الدم الكريم.

في دفاع يوستينوس الشهيد في القرن الثاني الميلادي أشار إلى أن الشماس في وقته كانوا يوزعون الأفخارستيا على الشعب ليتناولوا منه ويأخذونه معهم للغائبين سواء المرضى أو المسافرين¹.

الأكثر من ذلك أنهم كانوا يرسلون الأسرار المقدسة مع العلمانيين ليقدّموها للشعب في البيوت أثناء أيام الاضطهاد. ويذكر لنا القديس ديونيسيوس الإسكندري [264 م] في خطابه إلى فابيوس أسقف أنطاكية في زمن الاضطهاد أن قسًا أعطى لقمة الأفخارستيا لصبي على هيئة جوهرة من الجسد مغموسة بالدم ومجففة، وذلك لمناولة عجوز على فراش الموت².

لم تكن طريقة تناول جسد الرب ودمه هي الاهتمام الأول لآباء الكنيسة الأولين، بل كان اهتمامهم الأساسي هو الاستعداد لتناول جسد الرب ودمه، وأيضا معرفة عظمة نعمة الأفخارستيا، و الاشتياقات المتبادلة بين الله والإنسان للاتحاد معا (نشيد الانشاد 6 : 3، نشيد الأنشاد 7 : 10)، يوحنا 6 : 56).

لقد تطور الطقس، ولكن مع الاحتفاظ بالإيمان بجوهر السر وهو الشركة الحقيقية مع جسد ودم الرب يسوع، كما جاء في قول القديس بولس الرسول:

¹ يوستينوس الشهيد من القرن الثاني، الدفاع الأول 65

² ANF, vol. 6, Dionysius the Great, Epistle to Fabius Bishop of Antioch: 11, p. 101.

"كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ (1 كورنثوس 10: 16).

ونلاحظ هنا أن القديس بولس كَتَبَ عن "خبز واحد" و "كأس واحدة" بلفظ المفرد، ومع ذلك نعتبر أن الخبز الواحد والجسد الواحد هما معا شركة في جسد المسيح الواحد.

في نفس الأصحاح أشار القديس بولس الرسول إلى سر وحدانية الكنيسة أنها "جسد واحد" لأنها تشترك في "الخبز الواحد". الخبز الواحد الذي يقصده - في نهاية الآية - هو "جسد المسيح الحي"، أي جسده الإلهي ودمه الكريم (1 كورنثوس 10: 17).

لقد صرنا في المسيح خدام العهد الجديد، وليس خدام الحرف "لأنَّ الحَرْفَ يَقْتُلُ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (2 كورنثوس 3: 6).

حقاً من الواجب أن يكون طريقة تقديم الأسرار بأحسن صورة لائقة، ولكن قبل ذلك يجب الإيمان بجوهر السر، واستعداد القلب اللائق به.

لم تكن نظافة الكؤوس - التي اعتاد عليها الفريسيون - شيئاً خاطئاً في نظر السيد المسيح، ولكنه لم يقبل تمسك الفريسيون بحرفية طقس تنظيف الكؤوس دون الاهتمام بتنظيف القلب (مرقس 7: 6-8).

من جهة أخرى الأفخارستيا ليست فقط مجرد لحظة وطريقة تناول، بل هي عبادة وخدمة جماعية يقدمها الشعب مع الكاهن الخديم لله الأب من خلال شخص الرب يسوع المسيح الحاضر بجسده ودمه على المذبح المقدس، وتكمل هذه العبادة والخدمة بتناول المؤمنين من سر الإفخارستيا، ولكن تستمر في حياتهم الجديدة في المسيح.

الثبات على العقيدة مع تطور الطقس

التوصية بطريقة استثنائية في توزيع الأسرار المقدسة تستند على المبادئ التي أعلنها السيد المسيح،

قال لهم:

"لَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً لَمَّا حَكَمْتُمْ عَلَيَّ الْأَبْرِيَاءِ!، فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً" (متى 12 : 7).

"أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ اخْتَاخَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللَّهِ فِي أَيَّامِ أَبِيئَاتَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لَا يَجِلُّ أَكْلُهُ إِلَّا لِلْكَهَنَةِ وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضاً؟.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ لِأَجْلِ السَّبْتِ. إِذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضاً" (مرقس 2 : 25-28).

بناء على ذلك يمكن القول إن الطقس هو لخدمة الإنسان، وليس الإنسان لخدمة الطقس، كما سبق أن شرح ذلك أبينا الحبيب قداسة البابا الأنبا تواضروس الثاني، وكثير من الأحيار الأجلاء المطارنة والأساقفة.

الأبوة الحانية تقتضي التعامل برفق مع الجميع في كل الظروف، حسب قول القديس بولس الرسول (1 تسالونيكي 2 : 7-8، كورنثوس 9 : 22).

لكن هذه الأبوة الحانية لا تعني بأي حال من الأحوال التنازل عن إيمان الكنيسة وعقيدتها، بل لا بد أن تكون في حدود وصايا الله (غلاطية 1 : 10)، و"الإيمان المُسَلَّمُ مَرَّةً لِلْقَدِيسِينَ" (يهوذا 1 : 3)، على أن يكون "كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ" (1 كورنثوس 14 : 40).

لكن حتى لا تختلط الأمور، يلزم التنبيه أن اقتراح طريقة بديلة لتوزيع التناول ليس هو مساس بالعقيدة والإيمان، إذ يجب التمييز في أذهاننا وتعاليمنا بين الإيمان بجوهر السر باعتباره جسد الرب يسوع ودمه - اللذين للحياة الأبدية - وبين الطريقة التي يُقَدَّمُ بها السر.

مع أننا نؤمن أن جسد الرب ودمه هو لغفران الخطايا ونوال الحياة الأبدية، لكن طريقة تناول السر فقد تؤدي إلى الحياة الأبدية أو قد تؤدي إلى الضعف والمرض والموت، حسب الطريقة التي نتناول بها السر المقدس، حسب تعليم القديس بولس الرسول في (1 كورنثوس 11 : 29-30).

في هذا النص وردت عبارة "بدون استحقاق"، وهي في الأصل اليوناني $\alpha \nu \alpha \xi \iota \omega \varsigma$ وهي ظرف حال Adverb لتصف الفعل $\epsilon \sigma \theta \iota \eta \tau \epsilon$ "يأكل"، وجاءت في ترجمته بالإنجليزية في كثير من

الترجمات بتعبير "unworthy" وأيضًا "in unworthy manner"، وبذلك تكون الترجمة الدقيقة هي "بطريقة لا تليق بتناول الأسرار المقدسة".

أي أنه هناك دور بشري لتناول سر الحياة بما في ذلك الإيمان بجوهر السر والتوبة والمصالحة مع الآخرين وأيضًا طريقة تناول الأسرار المقدسة.

الإفخارستيا هي شركة مع الله الأب من خلال جسد ودم الرب يسوع الأقدس الموضوعين على المذبح المقدس، وهي أعظم بكثير من مجرد طريقة أداء الطقس.

خدام الروح - وليس خدام الحرف - هم الذين يعيشون اليوم في عربون ملكوت الله الأبدي يتذوقون الحياة الأبدية من خلال الليتورجيا والإفخارستيا (2 كورنثوس 3 : 6). ألب طالب الساجدين له بالروح والحق (يوحنا 4 : 23-24).

تناول الجسد و الدم معا

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تسمح للكاهن مناولة الجسد و الدم معا للمرضى، وحتى وقت قريب كان بعض الكهنة المسنين يقدمون الجسد الإلهي مع الدم لكل شعب الكنيسة، وليس للمرضى فقط، إلى أن تم منع هذه الطريقة للتناول لعدم وجود ضرورة تقتضي ذلك في حينه.

كما أنه حتى وقتنا هذا يتم مناولة الأطفال الرضع وبعض من المرضى من الدم فقط. في كل هذه الحالات، ليس هناك أي شك في أنهم يتناولون جسد المسيح الحي بغض النظر عن طريقة تناولهم.

وإذا ناول الكاهن الجسد مصبوغا بالدم يقول: "الجسد و الدم الذي لعمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة أمين³

لا يوجد أي اعتراض على توزيع الجسد المقدس و الدم الكريم منفصلين بطريقة مناسبة. الرب يسوع فعل هذا كما مثبت في الأناجيل المقدسة وفي رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس (1 كورنثوس 27-11:23). ولكن هل معنى هذا أنه من الخطأ تقديم الجسد المقدس و الدم الكريم معا؟

قدم الرب يسوع الخبز و الخمر حسب طقس عشاء الفصح في العهد القديم، ولكن بمفهوم جديد خاص بملكوت الله (متى 26:26-29). المسيح قدم الخبز و قال "هذا هو جسدي"، و قدم الخمر و قال "هذه هو دمي". ولكن جوهريا الجسد و الدم متحدان في المسيح.

العشاء الأخير - منذ حلول الروح القدس - ليس هو احتفالا حرفيا بالفصح، بل هو احتفال جديد في ملكوت الأب (متى 28:29)، و "عشاء عرس الحمل" (رؤيا 9:19).

حينما قدم السيد المسيح الخبز و الخمر، ولم يكن هدفه مجرد تنفيذ طقوس العهد القديم، بل كان هدفه تقديم حياته الإلهية للمؤمنين، من خلال جسده و دمه في سر الأفخارستيا للدخول في ملكوت الله حسب قول القديس بطرس الرسول "أَنَّهُ هَكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسَعَةِ دُخُولٍ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الْأَبَدِيِّ" (2 بطرس 1:11).

³ الخولاجي المقدس. جمع و ترتيب القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي - دير السيدة العذراء البراموسى

يجب أيضا أن ننتبه أن ذبائح العهد القديم كانت رمزا لذبيحة السيد المسيح، ولكنها لم تكن مطابقة تماما لذبيحة المسيح. تقديم الجسد المقدس والدم الكريم منفصلين لا يعني أبدا أننا نقدم ذبيحة المسيح كأحد ذبائح العهد القديم التي يفصل دمها عن لحمها عند ذبحها.

السيد المسيح "بِرُوحٍ أَرْزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ" (عبرانيين 9 : 14)، وحقا أنه مات بالجسد ولكنه "رُوحاً مُحْيِياً" (1 كورنثوس 15 : 45). وحسب الايمان الأرثوذكسي: "لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين."

في سر الأفخارستيا، لا تُقدّم الكنيسة ذبيحة المسيح كذبيحة ماتت وانتهت - مثل ذبائح العهد القديم الحيوانية - بل هو "حمل قائم كأنه مذبوح"، كما ورد في سفر الرؤيا (رؤيا 5 : 6)، وفي الجوهر لا نرى الدم منفصلاً عن الجسد في سفر الرؤيا.

الدم هو الحياة لأن "نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ" (لاويين 17 : 11)، الأفخارستيا هي جسد المسيح الحي أي هي جسده ودمه معاً، لأنه الآن حي يشفع فينا كل حين الأب (عبرانيين 7 : 25). المسيح مات ولكنه الآن حي إلى أبد الأبد (رؤيا 1 : 18).

في صلوات ليتورجيا الأفخارستيا، لا نتذكر فقط موت الرب يسوع، بل نتذكر تجسده ونزوله على الأرض وموته وقيامته وصعوده إلى السموات وجلسه عن يمين الأب ومجيئه الثاني الآتي من السموات.

لقد رأى إشعيا النبي صورة نبوية لممارسة سر الأفخارستيا، وقال: "طَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي وَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتَرِعَ إِيْمُكَ وَكُفَّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ" (إشعيا 6 : 6-7). ولا شك أن هذه "الجمرة المقدسة" هي جسد المسيح الحي، أي جسده المقدس ودمه الكريم معاً.

لا يمكن الفصل جوهرياً بين جسد الرب ودمه حتى لو كانا في الظاهر منفصلين في الصينية والكأس، وسواء تم تقديمها للمتاولين منفصلين أو معاً.

يقول الكاهن الخديم في القسمة السريانية:

"هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد، وذبح وإنحنى بالصليب وإنفصلت نفسه من جسده. إذ لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده..."

وفي اليوم الثالث قام من القبر. واحد هو عمانوئيل وغير مفترق من بعد الاتحاد، وغير منقسم إلى طبيعتين،

هكذا نؤمن وهكذا نعترف وهكذا نصدق أن هذا الجسد لهذا الدم وهذا الدم لهذا الجسد".

وبعد صلاة القسمة وقبل الاعتراف الأخير السابق لتوزيع الأسرار المقدسة يقوم الكاهن بغمس الجزء الأوسط في القربان المقدس [الاسباديون] في الكأس، ثم يخضب به الجسد الإلهي، ويقول الكاهن في نفس الوقت:

"جسد مقدس ودم كريم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين. مقدس وكريم جسد ودم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا آمين. جسد ودم عمانوئيل إلهنا هذا هو بالحقيقة آمين".

هذه الطقوس والصلوات الليتورجية تثبت بوضوح كامل أن جسد ابن الله الكلمة ليس منفصلاً عن دمه جوهرياً، حتى لو كانا منفصلان - ظاهرياً - في الصينية وفي الكأس، وحتى لو ناولنا الجسد والدم منفصلين أو معا بأي طريقة مقبولة. هذا الفصل ظاهري ولكن جوهرياً هو جسد المسيح الواحد الحي.

تناول الأسرار المقدسة في اليد

النصوص الإنجيلية حول العشاء الأخير، تكشف أن "المناولة الأولى First Communion" أعطها الرب يسوع بكسر الخبز موزعاً إياها على التلاميذ، وعلى الأرجح جرى تبادل الخبز المكسور من يد إلى يد (متى 26 : 26-28).

طريقة تناول الأسرار المقدسة في اليد in hand لها جذورها التي كانت مُتَّبَعَةً في الكنائس الأرثوذكسية الأولى حتى قبل القرن الخامس عشر⁴، وهي نفس الطريقة التي تمارسها الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الشقيقة هذه الأيام⁵.

تتلخص الطريقة المقترحة - والتي نوصي بها - في تقديم الجسد المقدس مخضّباً بالدم الإلهي على يد المتناول. في هذه الحالة يتقدم المتناول بخشوع كامل أمام الكاهن، وهو يمد يديه واضعاً كفه اليمنى على كفه اليسرى (على شكل صليب)، ويقوم الكاهن بوضع الجسد المقدس مُخضّباً بالدم الكريم على يد المتناول، ويتناولها بحرص أمام الكاهن.

توجد كتابات لكثير من الآباء الأولين الذين كانوا يُعلِّمون بنفس التعليم بشأن تناول الجسد المقدس في اليد. وهذا ثابت في تعاليم القديس كيرلس الأورشليمي [313 - 386 م] في مقاله الثالث والعشرين من عظاته للموعوظين، فقد كان يعلمهم بأن يتقبلوا جسد الرب على كف يدهم اليمنى بينما تكون اليسرى تحتها على شكل صليب، لتكون أيديهم "كالعرش المستعد لقبول الملك" (الأسرار ٥ : ٢١)⁶.

أشار الأب أفراهاط الحكيم Aphrahat السرياني إلى التناول في اليد في مقاله السابعة التي كتبها سنة 336-337 م عن قصة لعازر المسكين⁷.

وقد اعتبر الأب أفراهاط - في مقاله - أن جراحات لعازر المسكين هي رمز لجراحات السيد المسيح الذي يتناولونه على أيديهم في خشوع وورع وحب.

⁴ Febe Aramianous, Coptic Orthodox Communion in the age of COVID- 19, Quoted from Byzantine Communion Spoons: A Review of the Evidence.

⁵ بيان صادر عن بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس حول فيروس كورونا - دمشق 10 آذار 2020

⁶ القمص تادرس يعقوب ملطي، القديس كيرلس الأورشليمي، ط٢، ٢٩٥.

⁷ أفراهاط، المقالة السابعة، مقطع 21.

وأيضًا، أشار القديس مار أفرام السرياني [303-373 م] إلى التناول في اليد في رده على سؤال سليمان "من جمع الريح في راحتيه؟" (أمثال 30: 4)⁸.

أما القديس يوحنا فم الذهب فقد استند على طريقة تقديم السر المقدس على اليد في عظامه للموعوظين حتى يدققون في استخدام أيديهم ولا يضررون أخوتهم بها بعد أن تقدست بلمس جسد المسيح. وقال في خطابه الثاني إلى الموعوظين: "فكروا فيما تمسكه يديكم [جسد الرب]، ولا تدعوها تضرب أيًا من إخوانكم [لا تؤذوا بها إخوانكم]؛ بما أنها كُرمت بعطية سامية [بوضع الجسد المقدس على اليد]. وليس يديكم فقط من تمسك، بل فمكم أيضًا ينال عطايا السماء [جسد الرب ودمه]."⁹

ويعبر القديس مار يعقوب السروجي [404 - 523 م] عن اندهائه وعن عظمة الكرامة التي نالها المؤمنون بأن يحملوا جسد الرب على أيديهم ويقول: "ذاك الذي يحترق منه الناريون في سمو موضعه، تراه على المائدة في الخبز والخمر. المراتب الزهية [الملائكة النورانيين] لا تقترب من موضع مكانه [لا يستطيعون الاقتراب إلى موضع عرش الله]، وهوذا أبناء التراب يحملونه بأيديهم [المخلوقين من التراب يحملون جسد الرب على أيديهم]."¹⁰

وكان القديس مار فيلوكسينوس المنبجي (523) يعلم نفس التعليم بتناول الجسد المقدس على اليد: "نحن نشاهد غير المنظور، ونلمس غير الملموس ونأكل غير المأكول ونشرب الذي لا يُذاق ونحتضن الضابط الكل ونقبل غير المحدود."¹¹

وكتب مار فيلوكسينوس أيضًا صلاة يقولها المتناول بعد تناوله الجسد المقدس على يده، وهذه الصلاة محفوظة بمخطوط في المتحف البريطاني، ويقول:

"وإذا بسطت يديك وأخذت الجسد، انحن وضع يديك على وجهك، واسجد للجسد الحي الذي تمسك به، وتكلم معه، وعندما يستقر نظرك عليه، قل له: أحملك أيها الإله الحي المتجسد في الخبز.

⁸ أناشيد في الإيمان 10: 14

⁹ PG 49: 223

¹⁰ الميمر 42، سطر 104 - 105

¹¹ الرسالة العقيدية إلى الرهبان، ج1، ترجمة روجيه أكرس، ص 48.

أحضنك في راحتي [يدي] يا إله العوالم، يا من لا يضبطه عالم. لقد حددت نفسك في جمرة في كف جسدي، أنت السيد الذي يمسح بقبضته تراب الأرض. وكما أهلتني للاقتراب منك وقبولك واحتضانك في يدي، كذلك اجعلني أهلاً يارب أن أكلك بقداسة، وأذوق بطعام جسديك طعم الحياة.¹²

وأيضاً أشار القديس باسيلوس الكبير أنه أثناء الاضطهاد كان المؤمن يتناول بيديه أثناء ممارسة تناول. وذكر ذلك في رسالته رقم ٩٣ الموجهة إلى النبلاء حكام قيصرية.¹³

أقوال هؤلاء الآباء وغيرهم لا تثبت فقط طريقة تناول الجسد المقدس على اليد، ولكنها أيضاً تُقدم تعليمًا روحياً بالغ التأثير عن معنى الاتحاد بجسد المسيح الذي يتناولونه على اليد، وقوة هذا السر في الحياة الجديدة في المسيح.

لقد تاهت كثير من هذه المعاني وغيرها من ذاكرة ووعي الكثيرين، إذ كانوا يتناولون جسد الرب كمن له عادة، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة التأمل والتمجيد لله من أجل هذا السر العظيم.

ممارسة تناول في اليد تعطي فرصة أكثر للتأمل في كل هذه الأمور، حينما يرى المتناولين الجسد المقدس موضوعاً على أيديهم يتناولونه في شكر وتمجيد الله على محبته العظيمة.

مشاعر النفس المرهفة - وهي تتقبل جسد المسيح على يدها - تكون مثل مشاعر عروس النشيد في اتحادها مع عريسها: "وَجَدْتُ مَنْ نُحِبُّهُ نَفْسِي فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبَلْتُ بِبِي" (نشيد الانشاد 3 : 4).

قدسية الأسرار

يعتقد البعض أنهم غير مستحقين لمس جسد الرب بأيديهم، ومسموح للكهنة فقط أن يلمسوا جسد الرب

يسوع.

¹² London (British Museum), Add 17,125, f. 78r (IXe-XE s.); Add 14,529, f. 16va-17rb VIIIe-VIIIe s

¹³ NPNF, 2nd series, vol. 8, 179.

يجب أن نميز بين الكهنوت بالمعنى الخاص والكهنوت العام للمؤمنين. الكهنة - بالمفهوم الخاص - هم "خُدَامِ الْمَسِيحِ وَوَكَلَاءِ سَرَائِرِ اللَّهِ" (1 كورنثوس 4 : 1)، وهم الذين يقدمون نعمة الله الأب - في المسيح يسوع - للمؤمنين من خلال الأسرار المقدسة، كما قال الرب في (لوقا 12 : 42).

أما المؤمنون بصفة عامة هم كهنة بمعنى أنهم يقدمون أجسادهم - في عبادتهم العقلية وتسبيحهم لله - كذبيحة لله على مذابح قلوبهم، كما قال القديس بولس الرسول في (رومية 12 : 1، عبرانيين 13 : 15).

من جهة طريقة قبول جسد الرب ودمه ولمسه، لا يوجد فرق بين الكهنة والمؤمنين. ففي العشاء الأخير أكل الرب من الخبز وشرب من الكأس ثم أعطاهم لتلاميذه ليتناولوا منه بنفس الطريقة، وبينما هم يتناولون فاجأهم بقوله: "هذا هو جسدي"، و"هذا هو دمي".

لا فرق أيضا بين الكهنة والمؤمنين من جهة الاستحقاق، فلا أحد يستحق تناول جسد الرب ودمه ولا حتى لمسه، ولكننا نتناوله كنعمة إلهية وليس من أجل استحقاق. الكهنة والمؤمنون يعترفون بعدم استحقاقه قبل التناول، كما هو وارد في طقس القداس الإلهي.

تناول الجسد في اليد فرصة للتأمل في الاتضاع المذهل لكلمة الله الأزلي، إذ وهو في صورة الله "أخلى نفسه، أخذاً صورة عبْدٍ، صائراً في شبه الناس" (فيلبي 2 : 7). وصار في تناول الجميع لكي يلمسه الجميع، وينالوا الشفاء، ويكرزون بهذه الأخبار السارة (متى 14 : 36، لوقا 6 : 19، 1 يوحنا 1 : 1-2).

أن كنا لا نقبل اتضاع ابن الله - أنه نزل من السماء حتى نلمسه بأيدينا و نتناوله لنتحد به - نحرم أنفسنا من شركة الحياة الأبدية معه: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يوحنا 6 : 53)

من أجل عظمة اتضاع ابن الله انحنى - ليس فقط ليلمس أرجل تلاميذه - بل ليغسلها أيضا (يوحنا 13 : 10-3). وعندما اعتقد بطرس أنه غير مستحق أن يلمس المسيح رجله ويغسلها، كان سيؤدي إلى حرمانه من نصيبه مع المسيح في الملكوت. قال له الرب يسوع: "إِنْ كُنْتُ لَا أَعْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ... الَّذِي قَدْ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ" (يوحنا 13 : 8-10).

ومن ناحية أخرى يقول البعض أن تناول في اليد يجعل المتناولين يفقدون الشعور بمهابة السر وكل المقدسات الأخرى في الكنيسة مثل المذبح والأواني المقدسة. ولكن لو كان هذا صحيحا، فما هو الحال اذا مع الكهنة الذين يتناولون بأيديهم في كل القداسات؟!

حسب وصايا الرب والآباء الرسل، ولأجل أن يكون كل شيء في الكنيسة "بِلِيَأَقَةِ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ" (1 كورنثوس 14 : 40) وضعت الكنيسة الطقوس والترتيبات الخاصة بخدمة الكهنة والشمامسة في الكنيسة و الهيكل والمذبح. ويجب المحافظة على ذلك، "لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين" (1 كورنثوس 14 : 33).

لكن ليس معنى هذا أن المؤمنين - من غير الكهنة والشمامسة - غير مستحقون لدخول الهيكل أو لمس المذبح أو الأواني المقدسة، وإلا نكون قد سقطنا ورجعنا ناموس فرائض العهد القديم التي قال عنها القديس معلمنا بولس الرسول في (كولوسي 2 : 21-23).

في الواقع أن جميع المدعويين قديسين - بغض النظر عن رتبهم الكهنوتية - لهم "ثقة بالدخول إلى «الأقداس» بدم يسوع" (عبرانيين 10 : 19)، ولهم "جراءة وقُدومٌ بإيمانه عن ثقة" (افسس 3 : 11-13).

كما أن استهانة البعض بالأسرار المقدسة وعدم تمييزهم لجسد الرب والدم لا يجعل الكنيسة تحرم بقية المؤمنين من بركة الاتحاد بجسد المسيح، وبركة لمسه في أيديهم إذا رأت الكنيسة ضرورة تناول في اليد.

بالرغم من عدم تناول البعض بغير استحقاق غير مميزين جسد الرب ودمه، ولكن هذا لم يمنع الرب عن مواصلة تقديم حبه في اتضاع مذهل للجميع، حتى وإن بلغ الأمر مرض وموت الكثيرين بسبب عدم استحقاقهم. وهذا ما شرحه القديس بولس الرسول بوضوح في (1 كورنثوس 11 : 29-30). ومع عدم أمانة البعض يظل الله أميناً (رومية 3 : 4-3).

ختاماً

الأفخارستيا هي وليمة الملكوت الأبدي الذي لا يتزعزع، أما طريقة توزيع التناول والأدوات المستخدمة هي أدوات تخدم الإنسان لتناول عطية جسد الرب ودمه حتى يصل إلى الملكوت الأبدي، وهذه الأدوات قابلة للتطور حسب الظروف.

في الملكوت الأبدي سيختمني من رؤيتنا كل الأمور الحسية الظاهرة أمامنا اليوم، حسب قول بولس

الرسول:

"إِنَّا نَنْظُرُ الْآنَ فِي مِرَاةٍ فِي لُغْزٍ لَكِنْ حِينِنْدِ وَجْهًا لَوْجِهِ [الآن نرى الله بالإيمان بصورة غير واضحة، ولكننا سنرا على حقيقته وجها لوجه]."

الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت [الآن نعرف الله وأموره جزئياً، ولكن حينئذ سنعرفه كما يعرفنا هو تماماً]" (1 كورنثوس 13 : 12).

في الملكوت الأبدي سنكتشف حقيقة ما نؤمن به، وسنعيش في جوهر ما نمارسه بالإيمان الآن، لأننا سنكون مثله و سنراه كما هو (1 يوحنا 3 : 2)، وسنمشي معه في ثياب بيض (رؤيا 3 : 4)، و سنأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله (رؤيا 2 : 7). "طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الحمل" (رؤيا 19 : 9).
امين.